النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الموسم المسرحي

لمراسل الاداب ـ في القاهرة : رجاء النقاش

كاد الموسم المسرحي ان ينتهي في هذه الايام ، ففي مطالع الصيف من كل عام تخفت الحركة المسرحية لتبدأ من جديد في نهاية الصيف .. وقبل ان نتحدث عن المسرحيات التي قدمت هذا العام ، نحب ان نشير الى ظاهرتين على جانب كبير من الاهمية في تحديد قيمة النشاط المسرحي بشكل عام. اما الظاهرة الاولى فهي ان المسرح ما زال يرتكز في نشاطه على العاصمة وحدها ... على القاهرة ، ففي هذه المدينة تتجمع كل عناصر الحياة المسرحية من جماهير وكتاب وممثلين .. ثم ذلك العنصر المهم وهو : دور المسرح ، فالمدن الصغيرة (في مصر وسوريا معا ومن بينها دمشق نفسها) وكذلك الريف بقراه المختلفة المزدحمة بالسكان .. كل هذه المناطق خالية من النشاط المسرحي تماما ، الى جانب خلوها ايضا من معظم مظاهر النشاط الفني الاخرى ، وحول هذه الظاهرة يقول الاستاذ فتحي غانم في مقال له بمجلة « روز اليوسف » : « المتمتعون بالفن في بلدنا هم الذين يعرفون شوارع سليمان باشا وعماد الدين وقصر النيل في القاهرة ... هؤلاء وحدهم هم الذين يشاهدون الاوبرا ، ويتفرجون على الباليه ، ويترددون على الروايات التمثيلية ، اما باقي سكان الجمهورية .... الملايين الذين يعيشون في حلب وحمص وحماه وبور سعيد وطنطا واسيوط واسوان ، والذين يعيشون في المراكز والقرى .. هؤلاء جميعا محرومون تماما من كل هذه الفنون » ثم يقول :« ان مسئولية الدولة واضحة وهي اقامة المسارح والمزيد من المسارح في كل مكان .. لا في القاهرة فقط ، فضلا عن ضرورة ارسال الفرق التمثيلية الجيدة الى كل بقعة من ارض الوطن .. ان الفن لن ينهض ولن يرتفع مستواه اذا بقي محصورا في نطاق القاهرة،وهو للاسف ما زال مقيدا مسجونا داخل اسوار هذه العاصمة»!

وهذه الظاهرة تؤثر كثيرا على الفن المسرحي ، تؤثر على انتشاره ورواجه، بل وتؤثر على الفرصة الواسعة التي يمكن ان تتاح للكشف عن مواهب كبيرة في التمثيل المسرحي والتاليف المسرحي على السواء . فبدلا من ان يكون المجال الوحيد لهذه المواهب هو القاهرة فقط ، فانه سوف يتسع ... ومن بين مئات الالاف من المواطنين العرب في شتى مناطق سوريا ومصر سوف تظهر مواهب كثيرة يمكن ـ بصقلها وتربيتها ـ ان تؤدي دورا كبيرا في حياة الفن المسرحي . كما ان من الضروري الى جانب ذلك كله ان يتاح للمواطنين فرصة الاستمتاع بالفن المسرحي على اوسع نطاق ، فان ذلك يمكن ان يكون عنصرا يعطي للحياة طعما ، ويخلق فيها مستويات عقلية ونفسية متقدمة .. ان التجارب والايام تثبت ان الفن في حياة الجماعة ضرورة اساسية لمساعدتها على التقدم في اهدافه البعيدة السامية، وانه وبلا فن يفقد التقدم غاياته الرئيسية ويقف عند غاياته المحدودة المؤقتة . نحن لسنا نريد مصانع وتقدما اقتصاديا وحسب ، بل نريد الى جانب ذلك وبشكل اساسي جاسم : نفوسنا تفهم وعقولا تدرك .. وعلاقات اجتماعية تقوم على اساس من القدرة على اساس من القدرة على المشاركة الوجدانية ، ورحابة النفس ، وعمق تذوق الحياة .

ولن يتحقق ذلك كله بدون فن تتاح له كل الفرص حتى يتقدم ويؤدي دوره في الحياة .

هذه هي الظاهرة الاولى التي نحب ان نذكرها ونحن نتعرض لقضية المسرح عندنا : ظاهرة تركز الحركة المسرحية بكل عناصرها في القاهرة .

اما الظاهرة الثانية فهي ان الفرق المسرحية المختلفة عندنا لم تحدد لنفسها اتجاها تعرف به وتتقدم من خلاله الى الناس ... وهذه الظاهرة تشمل نواحي مختلفة . فالفرقة الواحدة تقدم في الموسم الواحد الوانا متعددة ، فهي تارة تقدما « كوميديا » وتارة تقدم « تراجيديا » وتارة تقدم « فارس » ... وهي تقدم اعمالا مترجمة ، واحيانا تقدم اعمالا مؤلفة .. وهي تقدم اعمالا ادبية عالية ذات قيمة فنية ممتازة ، واحيانا اخرى تقدم اعمالا تافهة سطحية قليلة القيمة والاهمية !

ولذلك فانت لا تستطيع ان تحدد طابعا عاما لفرقة من الفرق المسرحية في اي شيء ... لا في قيمة المسرحيات ، ولا في نوعها .. وهذه المسألة اوضح ما تكون في الفرقة القومية ، وهي الفرقة الحكومية الوحيدة ، والتي بامكانها ان تحدد لنفسها مستوى واضحا ولونا خاصا ... فلقد قدمت هذه الفرقة مثلا مسرحية خفيفة جدا هي « مسرحية قتل الزوجات » وتحدث النقاد عن الاشياء الكثيرة التي تنقصها كعمل فني ، وقال كاتبها الاستاذ يوسف السباعي نفسه « ان هدفه الوحيد من هذه المسرحية هو اضحاك الناس لفترة من الوقت » ... وبعد هذه المسرحية مباشرة قدمت الفرقة مسرحية مترجمة هي مسرحية « الوارثة » التي ترجمها الدكتور عبد القادر القط ، وكانت المسرحية المترجمة متناقضة في نوعها وقيمتها مع المسرحية السابقة، فهي مسرحية تعتمد على التحليل النفسي ، وتعالج مشاكل جدية .

لا بد من تحديد نوع الفرقة المسرحية واتجاهها فان هذا التحديد يساعد الجمهور ، فهناك من يميلون الى هذا اللون دون ذاك ، وهناك من يميلون الى لون معين في فترة معينة ويميلون الى لون اخر في فترة اخرى ... ان باستطاعة الجمهور ان يعرف طريقه لو تحددت امامه معالم الحياة المسرحية بوضوح اكثر ، عندما تأخذ كل فرقة على عاتقها ان تقدم لونا معينا ذا مستوى معين ، وباستطاعة « الفرقة القومية » بالذات ان تقدم المسرحيات ذات القيمة الفنية المعروفة : تأليفا او ترجمة ، دون ان تتسامح في ذلك ، لانها فرقة لا تهدف الى الكسب المادي العاجل ، فهي فرقة الدولة الاساسية .

نعود الى المسرحيات التي قدمت خلال الموسم الراهن ، وكان ابرزها واهمها دون شك مسرحيات الفرقة القومية التي تحدثنا عنها .. اما فرقة اسماعيل يس ، فهي فرقة تافهة تعتمد على التهريج بدافع الربح المادي وحسب . واما فرقة « المسرح الحر » فهي فرقة من الشباب المجتهدين الجيدين ، ولكنها تتعثر وسط ظروف مادية خانقة ، وقد كان موسمها هذا العام خافتا باهتا ، على عكس موسمها في العام الماضي.

وكان ابرز ما قدمته الفرقة القومية من المسرحيات المؤلفة مسرحية « الناس اللي فوق » لنعمان عاشور ، وهي مسرحية تعالج انحلال طبقة الباشوات المصريين في عهد ما قبل الثورة ، واضطراب حياتهم وقيمهم بعد قيام الثورة سنة ١٩٥٢ ، فقد جاءت هذه الثورة بقيم جديدة وافكار جديدة لا يتلاءم معها هؤلاء « الباشوات » الذين تعودوا على « وسط » اجتماعي وفكري مختلف .

وقد نجحت هذه المسرحية تماما على المسرح ، وان كان النقاد الذين قرأوها بعد ذلك مطبوعة قد لاحظوا عليها عدة عيوب ، من بينها المواقف المكررة والنماذج المعادة من مسرحية المؤلف السابقة : الناس اللي تحت .. وعلى كل حال فان نعمان عاشور يبقى رغم كل شيء ابرز وجه من وجوه المسرح المصري في موسمه الاخير. وهذا لا يعني انه بلغ غاية النجاح والتفوق الفني ، كل ما هنالك انه هو الخطوة المقدمة بالنسبة للمسرح في مصر ...

وعرضت الفرقة القومية بعد ذلك مسرحية « سقوط فرعون » لاحد كتاب الشباب ايضا وهو : الفريد فرج ، وقد فشلت هذه المسرحية كما عبر عن ذلك معظم النقاد في مصر ، وتلك حقيقة ، فالمسرحية مفتعلة ومضطربة الى حد بعيد ، ولكن هناك حقيقة لا يمكن اغفالها هي ان الكاتب قد كشف بمسرحيته تلك عن امكانية وجود « تراجيديا » عربية لو عرف مزيدا من التاني والاجتهاد والوضوح ، فحواره جيدقوي ، وروح المأساة عنده عميقة صادقة ، ولكنه يتعسف في اختيار الموضوع ، ويتعسف في تصوير النماذج المختلفة ويملأ عمله باضافات ليست من الفن في شيء .

ومن المسرحيات المؤلفة ايضا مسرحية « الصفقة » لتوفيق الحكيم ... وهي مسرحية تثير اكثر من مشكلة .. ويمكن الاشارة الى مشكلتين هامتين من المشاكل التي اثارتها . الاولى مشكلة الحوار في المسرحية ، فلقد كتبها توفيق الحكيم بلغة مزدوجة تصلح للقراءة بالفصحى وللقراءة بالعامية في نفس الوقت ، وقد بدا في هذه المحاولة جهد كبير وان ظهرت الصنعة واضحة مقلقة .. اما المشكلة الثانية التي تثيرها مسرحية الحكيم فهي ان هذه المسرحية ـ ربما لاول مرة في مسرح الحكيم ـ تقدم الكاتب وقد خرج عن عالمه التجريدي الى عالم من وقائع واحداث وبشر .. فالمسرحية تعالج مشكلة الاقطاع التى كان يعانيها الريف المصري في عهد ما قبل الثورة .. وقد لفتت هذه المسرحية انظار النقاد ، وكانت مجالا للتأمل والدراسة وخصوصا : لملاحظة مدى تطور الحكيم فيها .

هذا أبرز ما قدمته الفرقة القومية من مسرحيات مؤلفة .

اما المسرحيات المترجمة فكان اجملها وانجحها مسرحية « زواج فيجارو » التي كتبها في القرن الثامن عشر الكاتب الفرنسي الشهير : بومارشيه.. لقد كانت هذه المسرحية عملا موفقا كسب كثيرا من اعجاب الرواد والنقاد على السواء، وفي هذه المسرحية بالذات مجال للمقارنة بينها وبين مسرحية كوميدية اخرى قدمتها نفس الفرقة ، وهي مسرحية « جمعية قتل الزوجات » ليوسف السباعي ... ان المقارنة توضح تماما ان الكوميديا ليس من الضروري ان تكون سطحية لكي « تضحك » الناس وتدخل السرور على قلوبهم .. لقد كانت « زواج فيجارو » كوميديا عميقة مليئة بالمتعة والفائدة معا ، اما كوميديا « جمعية قتل الزوجات » فقد كانت سريعة وسطحية ، وان لم تخل من لمسات حلوة ... ولكنها عابرة لا تعيش .

بقي هناك شيء اخر لا بد من الاشارة اليه في مجال الحديث عن الموسم المسرحي الذي انتهى في هذه الايام .. هذا الشيء هو ان الممثلين عندنا قد اثبتوا مقدرة واضحة ، وتفوقا باهرا ملموسا ، ولا شك ان اروع ما في مسرحنا اليوم هم هؤلاء الممثلون الذين بلغوا قمة التوفيق في اداء ادوارهم المختلفة ، واصبحنا نستطيع ان نقول بحق : ان لدينا ممثلين كبارا ، وممثلين لهم مستقبل يطل من حاضرهم ويعد بالكثير ، ولو وجدنا المسرحيات الناجحة لاستطعنا دون جدال ان نصل بهؤلاء الممثلين الاكفاء الى مستوى عال جدا من التفوق المسرحي ، وحسبنا ان نذكر من هؤلاء الممثلين : فؤاد شفيق ، سعيد ابو بكر ، سناء جميل ، نعيمه وصفي، فاخر فاخر ، عمر الجزيري ... وشاب اخر ظهر في مسرحيتي « سقوط فرعون » « « الناس اللي فوق » بشكل يبشر بمستقبل طيب هو : محمد عبد العزيز ـ وفي مجال الاخراج لا بد ان نشير الى الجهود الطيبة التي بذلها : نبيل الالفى وحمدي غيث وعبد الرحيم الزرقاني.

قاسم امين

احتفلت مصر في اواخر شهر ابريل الماضي بمرور خمسين عاما على وفاة قاسم امين ، اول مفكر عربي حمل قضية تحرير المرأة كرسالة له وعمل على خدمتها في الميدان الاجتماعي خدمة جليلة ، فلقد ظهر قاسم امين في فترة يمكن ان نسميها فترة « البعث » بالنسبة للمجتمع المصري والمجتمع العربي عموما ، وفي فترة البعث هذه ظهرت فكرة هامة هي : الاخذ عن اوروبا في شئون الحضارة والعمران والثقافة ، وكان هناك من تطرفوا في دعوتهم حتى كادوا ان يقتلعوا الشخصية العربية المصرية من جذورها ، وهناك من اعتدلوا في ذلك ورأوا ان المسألة هي ان نأخذ ما نحتاج اليه وما يتناسب معنا فقط ، وكان قاسم امين واحدا من القادة الكبار الذين امنوا بفكرة الاخذ عن اوروبا ، ولكن باختيار ووعي واعتدال ، وعندما اخذ قاسم امين على عاتقه ان ينقل الى مجتمعنا فكرة تحرير المرأة اختار الطريق العلمي المقنع المدعم بالادلة والبراهين ، وقد ظهر له كتابان هما « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وكلاهما يفيض وعيا وعلما ودقة في عرض القضية ، والدفاع عنها ، وقد كان « مفتاح » أفكار قاسم امين هو ايمانه بان قضية المرأة مرتبطة تماما بالنظام السياسي للمجتمع ، فاذا كان النظام السياسي نظاما استبداديا متخلفا فان وضع المرأة في هذا النظام يكون متخلفا متأخرا ، وقد ضرب قاسم امين مثلا على ذلك بالوضع في الشرق في مطلع القرن العشرين حيث كانت المرأة مستعبدة للرجل والرجل مستعبدا للحاكم ... فالرجل ظالم في بيته مظلوم خارج بيته .

ولقد مات قاسم امين سنة ١٩٠٨ ولم يتح له ان يشهد نظاما سياسيا من اعجب الانظمة العالمية الحديثة ، ذلك هو النظام النازي على يد هتلر ... لقد كان هذا النظام استبداديا الى ابعد حد ، بل كان الدرجة القصوى التي وصل اليها الاستبداد في العصر الحديث على الاطلاق ، وفي هذا النظام الذي ظهر بعد وفاة قاسم امين كان هناك تطبيق كامل لما فكر فيه ونادى به من ان « تخلف المرأة انما يظهر في المجتمعات الخاضعة لاستبداد سياسي » ... فلقد شهدت المرأة في عهد النازية اسوأ اوضاعها الاجتماعية على الاطلاق .. كان الدكتور جوباز احد قادة النازيين وفلاسفتهم يقول : « ان مكان المرأة في البيت ، ووظيفتها الحقيقية هي تزويد بلادها وشعبها بالاطفال .. ان تحرير المرأة خطر على الدولة ، عليها ان تترك للرجل الاعمال التي يقوم بها الرجال » .. وهكذا شهد العصر الحديث تأكيدا لفكرة قاسم أمين التي بنى عليها استنتاجاته ونظراته المختلفة .. تأكيدا ربما لم يخطر على بال بهذه الصورة .

لقد طالب قاسم بشدة ان تتحرر المرأة المصرية من القيود ، نادى

بان تتعلم ، فالجهل قيد فظيع عنيف ، ونادى بالغاء تعدد الزوجات ، وتقييد الطلاق ، وكان اكبر مظهر من مظاهر اعتداله ووعيه انه لم يدع الى اعطاء المرأة حقوقها السياسية ، ذلك لان الحياة السياسية مسؤولية كبيرة هائلة ، ويجب الا يدخل ميدانها الا من تسلح بما فيه الكفاية من المعرفة والخبرة لكي يستطيع ان يؤدي واجبه كاملا ، وقد كان الرجال في الوقت الذي ظهرت فيه كتب قاسم امين في حاجة الى مزيد من الاعداد والتربية حتى يستطيعوا ان يتحملوا مسؤولية الحياة السياسية ... كان هذا شأن الرجال الذين يتمتعون بما لا تتمتع به المرأة من حريات وحقوق ، فما بال المرأة التي كانت في ذلك الحين جاهلة محرومة من الخبرات والوان التجارب المختلفة .. ان الرجل في ذلك الحين ـ سنة ١٩٠٠ تقريبا ـ لم يكن صالحا بما فيه الكفاية للعمل السياسي ، وكانت المرأة بالتالي اقل صلاحية منه .. ولذلك دعا قاسم امين الى تثقيف المرأة وتربيتها دون ان يدعو الى منحها الحقوق السياسية ... تلك الحقوق التي نالتها المرأة اخر الامر في انتخابات مجلس الامة الاخير ، حيث اشتركت المرأة في « التصويت » ودخلت عضوا في البرلمان .

لقد كانت افكار قاسم امين عميقة متفهمة للامور ، وكانت صياغته من اروع الصياغات العربية من ناحية الدقة في التعبير ، والاخلاص في تصوير احساسه بالمشكلة وايمانه بالحلول التي يقترحها ويعرضها على المجتمع ، وباستطاعتنا دون تردد ان نعتبره من كتاب الجيل الحاضر لو اردنا ، فليس بينه وبين جيلنا اختلافات فيما عدا بعض الاشياء الجانبية في تفسيره لبعض الامور وطريقة احساسه بها .

ولقد شارك قاسم امين في انشاء الجامعة المصرية ، الى جانب قيادته لحركة تحرير المرأة قيادة فعالة قوية ، ولم تمض شهور بعد وفاته حتى كانت جهوده قد اثمرت فظهرت الجامعة الى الحياة في سنة ١٩٠٨، نفس السنة التي مات فيها ذلك المفكر الكبير .

والى جانب كفاحه في تحرير المرأة ، وانشاء الجامعة كانت له آراؤه المستنيرة الجديرة بالنقاش في مجال اللغة والادب ، واهم هذه الاراء رأيه في اللغة حيث يقول

« ان اللغة العربية مرت عليها القرون الطويلة وهي واقفة في مكانها لا تتقدم خطوة الى الامام بينما اخذت اللغة الاوروبية تتحول وترتقي كلما تقدم اهلها في الاداب والعلوم حتى اصبحت النموذج المطلوب في السهولة والايضاح والدقة والحركة والرشاقة ، وصارت انفس جوهرة في التمدن الحديث » ويقول ايضا :

« لم ار بين جميع من عرفتهم شخصا يقرأ كل ما يقع تحت بصره من غير لحن .. اليس هذا برهانا كافيا على وجوب اصلاح اللغة العربية .. لي رأي في الاعراب اذكره هنا بوجه الاجمال وهو ان تبقى اواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأي عامل من العوامل ... بهذه الطريقة وهي طريقة جميع اللغات الافرنجية واللغة التركية ايضا، يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتغال الخ .. بدون ان يترتب على ذلك اخلال باللغة اذ تبقى مفرداتها كما هي »

وهو رأي عميق جدير بان تثار حوله المناقشات والابحاث ... وهكذا كانت عبقرية قاسم امين متعددة الجوانب ، وكانت هذه الجوانب كلها مطبوعة بطابع علمي دقيق في الاسلوب ، وطريقة التدليل واقامة البرهان ، وفي الثقافة التي يعتمد عليها للدفاع عن قضيته والتعبير عنها .. فهي ثقافة واسعة تعيش في ذهن اجاد تمثلها والاستفادة منها .

البرنامج الثاني

مضى عام على ظهور البرنامج الثاني في الاذاعة العربية المصرية ... ذلك البرنامج الذي يعمل على تقديم الثقافة العربية والغربية بمستواها الرفيع دون تجزئة او اختصار او سرعة ... وقد كان هذا البرنامج ضروريا لازما حتى تساهم الاذاعة كوسيلة قوية من وسائل الثقافة في تدعيم الفكر الرفيع والادب الرفيع ، وحتى يجد رجال الثقافة وسيلة جديدة قوية من وسائل التعبير عن افكارهم وتقديمها الى الناس ، ولقد فتح البرنامج الثاني بالفعل آفاقا واسعا للجمهور ولرجال الثقافة على السواء ، وبذل المسئولون عن هذا البرنامج جهودا طيبة في تدعيمه حتى يستطيع تقديم المستوى المطلوب من الثقافة الفكرية والفنية ... يقول الاستاذ سعد لبيب مدير البرنامج الثاني « ان البرنامج الثاني قد قدم الى الاذاعة الوانا من الفن الرفيع والمعرفة ، لا يمكن ان تقدم في البرنامج العام ، كالمسرحيات الكاملة التي تستغرق اذاعتها اكثر من ساعتين والبرامج الموسيقية الطويلة ، التي تحتاج الى بعض التركيز لضمان الاستمتاع بها استمتاعا سليما ، والندوات التي يجب ان يخصص لموضوعها وقت يصل الى الساعة ، كذلك الابحاث والمحاضرات العامة التي يستغرق تقديم الواحد منها حوالي الساعة ، وكل ما من شأنه ان يكون ضمن برامج اي اذاعة تحترم دورها في تكوين راي عام وذوق سليم »

وقد تحدث الاستاذ سعد لبيب عن الفرق بين برنامجنا الثاني وبين البرنامج الثالث في الاذاعة البريطانية فقال :

« الواقع ان هناك فرقا كبيرا جدا بين البرنامج الثاني والثالث في الاذاعة البريطانية ، على عكس ما يتصور بعض الناس ، والسبب الحقيقي لهذا التوضع هو الاختلاف في المستوى الثقافي بين البلدين ، وهي حقيقة يجب ان نعترف بها حتى نضمن تقدمنا ... ولهذا نجد ان المادة التي تقدم بالبرنامج الثاني في مصر لا تكاد تصل الى مستوى ما يقدم في البرنامج العام او الخفيف في الاذاعة البريطانية ، فالمسرحيات الكاملة تقدم هناك في البرنامج العام ، وموسيقى بيتهوفن وموزار لا تقدم هناك الا في البرنامج الخفيف والعامهكذا .. اما برنامجهم الثالث ، فيتميز بالابحاث والدراسات والنماذج التي لا تفيد الا المتخصصين في كل فرع من فروع المعرفة ، فهو اذن برنامج المتخصصين وليس لجمهور المثقفين العاديين او طلاب الثقافة كما هو الحال في برنامجنا الثاني.. والمنهج الذي نسير عليه حتى اليوم هو احسن ما استطعنا الوصول اليه ، فاذا طرأ جديد من الافكار والتجارب فلا بد لنا من ادخاله ، ومن تعديل منهجنا على اساسه »

والواقع ان البرنامج الثاني خلال هذا العام قد استطاع ان يقف على قدميه ويشعر الناس بوجوده الى حد بعيد ، وان كان هناك امل في مزيد من النضج والاكتمال فان هذا لا يعني ان ما تم بالفعل كان قليل الاهمية وخصوصا عندما نعلم ان الاذاعة كأداة ثقافية قد ظلت خلال فترة طويلة من تاريخها في مصر عدوا من اعداء الثقافة الرفيعة لا من ناحية امتناعها عن تقديم الوان الثقافة العميقة وحسب بل لانها كانت تدأب على نشر

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الثقافة السطحية ، والوان التسلية العارضة في المجالات المختلفة ، مما ادى بمرور الزمن الى خلق جمهور اذاعي يتميز بالتفاهة وكراهية العمق ... اما اليوم فقد ارتفعت الاذاعة بهذا البرنامج الى ما ينبغي عليها ان تفكر فيه من خدمة للثقافة والتقدم .

تبقى هناك ملاحظتان حول البرنامج الثاني ، الاولى انه حتى اليوم لا يسمع خارج مصر ، فهو برنامج مقصور على الجمهور العربي في مصر وحدها ، ولا بد من علاج هذا الوضع ، اذ ان جمهور هذا البرنامج واسع جدا في البلاد العربية الاخرى ، ورسالته في تلك البلاد لا تقل اهمية بحال من الاحوال عن رسالته في مصر .

اما الملاحظة الثانية فهي ان الاهتمام بالادب العربي المعاصر قد اقتصر في الغالب على الانتاج الادبي في الجمهورية العربية المتحدة اي في مصر وسوريا فقط ، والواقع ان من واجب البرنامج ان يهتم بالانتاج العربي في شتى البيئات : في السودان والعراق والمغرب العربي ولبنان .. وكل قطر عربي آخر ، فان ذلك يتفق مع رسالة القومية العربية الحقة ، تلك الرسالة التي تؤمن بوحدة المستقبل العربي في شتى المجالات ، وعلى رأسها مجال الثقافة ، واما اجدر الوحدة الثقافية بان تتقدم وتقود الطريق الى الوحدة على مستوياتها الاخرى : كالمستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

لا بد بعد ذلك من الاشارة الى بعض البرامج الهامة التي تؤدي دورا واضحا في البرنامج الثاني واول هذه البرامج البرنامج الموسيقى الاسبوعي الذي يقدمه الدكتور حسين فوزي حيث يعرض فيه الوانا من الثقافة الموسيقية الرفيعة في العالم ، ثم برنامج « مع النقاد » الذي تقدمه السيدة سميرة الكيلاني كل اسبوع وتبذل فيه جهودا طيبة ناضجة للاحقة الانتاج الادبي وتقديمه ومناقشته على ضوء المناهج النقدية المختلفة ، وكذلك برنامج اخبار الثقافة الذي يقدمه فاروق خورشيد كل اسبوع فهو ايضا يحاول ان يلاحق فيه النشاط الثقافي كل اسبوع لمناقشته وتفسيره والتعليق عليه ، كذلك لا بد من الاشارة الى الجهود الفنية الموفقة التي يبذلها المخرجان المثقفان : صلاح عز الدين ومحمود مرسى.

★

انتظار وتطلع

لمراسل الاداب في الاقليم الشمالي

ما كادت افراح الوحدة ان تهدأ حتى قامت الدولة الجديدة ، بروحها الثورية ، تنشط من اجل الخلق والانشاء في جميع مجالات العمل الحكومي ، فتألفت اللجان ، بعد ان انشئت وزارات جديدة ـ وزارة التخطيط ، انعاش الريف .. ـ ينبيء اسمها وتصميمها عن المرحلة البناءة الانقلابية التي اصبحت تعيش فيها امتنا العربية في هذا الجزء من الوطن الاقليم الشمالي.

ورغم ان الانقلابية ما زالت تحيا في نفوس الجيل املا وانتظارا ، اي رغم ان المخطط الثوري ما زال قيد الدرس والبحث ، في اروقة الدولة وخلق مكاتب اللجان والاخصائيين ، فان حماس الشعب يأخذ الان مرحلة امتداد وتعمق معا ، اي انه ينقلب الى ثقة وطمأنينة ، بالحكم ، بالحكام ، بالمستقبل ، وقواد المستقبل ورواده . تلك الطمأنينة الانسانية ما عرفها شعبنا منذ مئات السنين .. فلقد عاد الانسجام بين راس الهرم وقاعدته، واصبح الحاكم لاول مرة يستند الى الشعب، ويستوحي براءته ، ويعمل حقا من اجل الشعب والانسانية المنبعثة عنه الى محيط العالم .

والجيل الثوري الطبيعي ، الذي قاد معركة النضال من اجل هذه الوحدة ، من اجل هذه الطمأنينة ، وهذا التناغم الاصيل بين القائد وشعبه ، ما زال يتحرق ، انه لا يطمئن ، لا يترك الساحة ، لا يستقر في بيته وبين افراد عائلته .. وذلك لانه لعظم العمل الذي حققه يخشى عليه ، يخاف ايديا في الظلام ، ومالا يندس في الجيوب ، وتطويرا جديدا للتخريب والتآمر تتسلح له فئات لم يرضها التوحد ، ولكنها وافقت عليه خوفا وتكيفا مع الظروف ..

ان الجيل لا يطالب بالمعجزات بين عشية وضحاها ، ولكنه يحذر من التمهل ، كما انه يدرك صعوبة نقل امة واوضاع من تركة القرون الوسطى، وعصر الاستعمار والاقطاع ، والتآمر واللصوصية الداخلية ، الى عصر الحضارة والكرامة والقوة .

في مرحلة الوحدة الجزئية هذه التي حققتها الجمهورية العربية ، قلت ان تطريرا جديدا للتخريب قد دخل في حيز التحقيق . وقد يبدو ان هذا التخريب قد اتفقت عليه فئات متنافرة في المبدأ ، ولكن جمعها مرة اخرى الشعور بالكارثة التي داهمت مصالحهم وحلزونيتهم اللا انسانية ، تلك التي تلتف على ذاتها وتبصق قذارتها في الحجور والكهوف والاقبية .

ولقد استثمر التخريب الهدوء الذي تبع افراح الوحدة ، ووضع برنامجا غير مباشر ، نفسيا يعتمد بالدرجة الاولى على بث شتى الشائعات السلبية المشككة المقلقة ، بعد ان فرغت ساحة الشعور عند الافراد من ثقل وروعة الحادث العظيم ، وعادت رتابة الحياة ، وهبط التوتر من مستوى الاندماج بعظمة الحادث والمشاركة ببطولة القيادة ، الى مستوى المصلحة اليومية ..

وانك لتسمع ، ضمن لهجات مختلفة اقرب الى الهمس والدس ، وخلال اساليب مختلفة من الكلام ، شتى الاقاويل والشائعات بين فئات الشعب. بين العمال هناك من يحدث عن خطر متوقع من هجرة عمال مصريين للقطر السوري ومزاحمتهم للعمال المحليين برخص اجورهم .. وبين التجار هناك من يبث الشك بالعملة ، ويصور الاصلاح الجمركي والمنهجية الاقتصادية ، خطرا على الارباح .

وبين المعلمين هناك من يعارض وحدة النقابتين في الاقليمين ، بدعوى ان لنقابة المعلمين هنا مكاسب لا تتنازل عنها .. وغير ذلك من تلك التخرصات المخترعة .. التي تنبث وتندس ، ولكنها تقاوم لا شعوريا من قبل فئات الشعب لشدة وضوح الوضع العظيم الجديد الذي انتقلت اليه ، ولتمسك النفس العربية بفضيلة الكرم قبل منطق المصلحة ، والحماس القومي فوق التعنت الغريزي .

ومن مظاهر هذا التطوير الجديد للتخريب النقاش المصطنع الذي اثير حول قانون الاصلاح الزراعي الجديد الذي يحدد لاول مرة في تاريخ الفلاح العربي العلاقة بين المزارع الكادح وبين المالك والاقطاعي ، والذي يدعو الى شيء من تحديد الملكية . كان هذا القانون ، او بالاحرى مشروعه الذي لم يتحقق بعد ، مناسبة لتجذب جميع الكتل المشوشة من يمينية وبعض اليسارية . وعندما حاولت جريدة (البعث) ان تنبه الى النية السيئة التي تختبيء وراء هذا النقاش الصحفي ، الذي هو في مظهره تعايش علمي ، وفي جوهره تشويش ومحاولة للانتقاض من سلامة اوضاع الوحدة الجديدة ، عندما حاولت هذه الصحيفة عن طريق مقالين كتبهما عبد الكريم زهور والدكتور جمال اناسي ، ان تشير الى ذلك ، وان تنبه الى خطر الصحافة المأجورة التي استمرت تحقق غاياتها القديمة في هذا العهد الانقلابي ، قامت قيامة اصحابها وبعض دعاة اللاوحدة المقنعين، وكأنها فرصة طيبة لان يوجهوا كل نقد وحقد وافعوانية ماكرة للجمهورية العربية من خلال مهاجمتهم لمقالي الجريدة ..

النشاط الثقافي في الوطن العربي

هذا الى جانب نوع من الاحساس العام الذي يخامر بعض القياديين من الطليعة العربية بان ثمة محاولة جديدة للتآمر الخفي يصرف لها المال الوفير وتعد لها الخطة المحكمة ، تدل عليها اشارات عديدة .. ويعجب المرء كيف تساور الاجنبي مرة اخرى فكرة التآمر الداخلي بعد ان كانت سلسلة المؤامرات تلك سببا قويا في تفجير القوى الثورية والقفز بالتطور الانقلابي للشعب حتى بلغ درجة تحقيق مثل اعلى عظيم ايجابي للمرحلة التاريخية كلها الا وهي الوحدة .

كل ما يمكن ان يدفع خطر التطوير التخريبي الجديد الذي تعده الايدي الاستعمارية وتمثله مهزلة من بعض الموتورين الداخليين ، هو عدم التراخي في توتر الثورية الانسانية التي خلفتها الوحدة في النفوس . ان التمهل والتريث والدراسة النظرية الطويلة ، يمد بالمسافة بين المقدمات الحماسية اللاهبة والنتائج العملية المباشرة .

الوحدة ، هذا الوليد ، يجب ان يشب بسرعة ، يجب ان يقطع السنين والقرون معوضا بالعمل الشامل ، بالتحقيق المثالي الذي يستخدم قوى الانشاء لدى الشعب كافة الشعب .. ولا سبيل الى ذلك الا باعداد خطة تلتزمها الحكومة والشعب معا للعمل السريع ، وفي جميع مجالات الحياة ، وتحميل الشعب مسؤولية خلقة لذاته مرة اخرى .

ومن اجل هذا لا بد من تغير الية العمل الحكومي التي صنعها التاخر والاستعمار والاستثمار وسارت بحسب قانون السيد والعبد ، في داخلها بين رؤسائها ومرؤوسيها ، وفي الخارج بينها وبين افراد الشعب ، وكان هدفها تعطيل التقدم والانشاء ، والدوران الحلزوني على الذات نحو حركة تغوص الى اسفل فاسفل دائما . ولا يكتفي بتغير رؤوس الاهرامات في كل دائرة ووزارة .. هناك شبكة من عبيد القيم القديمة لها عقد متورمة على شكل عصابات ، في كل مجال حكومي . اورام سرطانية تخرب خلاياها الذاتية وتخرب ما يجاورها من خلايا حية ..

ان هذه الالة الحكومية الهرمة هي التي عليها ان تحقق عمليا مشاريع الانقلاب ، الحياة الجديدة ، المثل الاعلى في التطابق بين عظمة السياسة العربية للجمهورية الفتية ، وبين تطورها العلمي والعملي الداخلي.

وهناك آلة الصحافة التي تعيش على هامش الآلة الحكومية والتي تستقي ينبوع فعاليتها من ذات مصادر الجهل والخيانة والتخريب المقصود والحقد اللاانساني ، وهي اليوم تجرب مرحلة جديدة في تطوير التخريب عن طريق بث البلبلة والشك في بنيان الوحدة النفسية والثورة الذاتية لدى افراد الشعب ..

وقد استبشرت الطليعة العربية منذ ان استلم بعض الوزارات شباب ثوريون ، وانهم منتظرون كذلك ان تحول اجهزة تلك الوزارات الى المستوى الفعال الثوري الذي يحقق الانقلابية الشاملة ، اي ان تحول الوزارات الوزارة نفسها الى ذات الطبيعة الثورية التي يحملها وزيرها ورأس هرمها ..

هذا .. وان بقيت بعض الوزارات الرئيسية تتابع اليتها الهرمة العاجزة كوزارة التربية في الاقليم الشمالي ، تلك الوزارة التي يقع على عاتقها انشاء العقلية الحديثة للاجيال الصاعدة . فهي ما زالت دون خطة تربوية واضحة ودون مربين حقيقيين . وما زالت تشكو عدم الاختصاص والفوضى وانعدام النظام .. وتفشي الاليةالورقية الميتة .. وكل القيم ما عدا قيم العلم الصحيح والنظام والثورية العربية .

ان هذه الوزارة هي التي عليها ان تصنع انسان الجمهورية العربية نفسيا وقوميا وعقليا وتعده للمستقبل العظيم الذي تسير اليه امة العرب. فاذا قايسنا وضعها الحالي بمهمتها تلكظهر التنافر حتىالتضاد الشنيع..

والمثقفون وحدهم هم الذين يدركون عبء هذه الوزارة وواجباتها الكبرى ، ولذلك يتطلعون الى اليوم الذي يعاد النظر في جهازها كله ويحول الى جهاز ثقافة ، ومقاييس ثقافية ، وتربية ، ومقاييس تربوية ، **ونظام وتوجيه حقيقي .**

ان مكافحة التآمر والتخريب لا يكون الا بالعمل الايجابي ، وجعل فئات الشعب المختلفة على مستوى المرحلة الانقلابية التي يمرون بها حماسا وتفجيرا للامكانيات ، وتضامنا خصبا . والعمل يجب ان يتناول اولا الة العمل اي الاجهزة الحكومية . ويجب ان يعم ثانيا جميع مجالات الحياة ، من القرية الى المدينة، ومن المتجر الى المدرسة ، ومن البيت الى الشارع الى المعمل . حتى يلتزم كل فرد الدور الثوري المنشيء الذي خلق من اجله ، وحتى يتشغل كافة الشعب بقضايا الشعب كله في البناء والانتاج.

هذا هو المحصول الايجابي المرتقب بعد تحقق الوحدة . وكلما طال الامد ، وامتدت المسافة بين الوحدة ، كمقدمة ، وبين محصولها المنشيء الانقلابي كنتائج مباشرة ، مشخصة تملأ حواس الشعب ، كلما افسح المجال لكل تطوير اخر للتخريب والتهديم ..

وهذا ما لا يمكن حدوثه ما دام جوهر الوحدة قد تحقق الا وهو اتحاد رأس الهرم بقاعدته ، تضامن الحاكم والشعب .. ما دام التاريخ قد قال كلمته ان بعث العرب قد اشرق، وكل عش للظلمات سينهار على اصحابه.

احداث ثقافية

فوجئت الاوساط الفنية والثقافية بوفاة الفنان النحات فتحي محمد في حلب . وقد ذهل معارفه واصدقاؤه بالخبر الصاعق بعد ان كان الجميع يرتقبون من بين يديه آثارا رائعة في فن النحت . ويذكر قراء الاداب الحديث الذي قام به مراسل الاداب بدمشق مع المرحوم في شهر ايار من العام الماضي ، ويذكرون بعض نماذج من تماثيله قد نشرت صورها مع الحديث .

وفي الواقع رغم ان موت هذا الفنان الشاب كان نتيجة لمرض السرطان، الا ان المقربين منه يؤمنون حقا ان وفاته كانت نوعا من الاستشهاد ، استشهاد جاء نتيجة للاضطهاد والكفر بالقيم الفنية ، وجهود عبقريته التي اعترف له بها الغرب في معارض شتى اقامها بايطاليا وفاز فيها بالجائزة الاولى دائما ..

وهكذا يخسر العرب فنانا موهوبا ، في هذا الوقت الذي يبحث فيه التاريخ عن العبقريات والامكانيات لخلق حضارة عربية جديدة .

مجلة الثقافة

صدرت ثلاثة اعداد من اول مجلة ادبية فكرية تخرج الى القراء بالاقليم الشمالي . وقد اجتمع فيها نخبة من كتاب الاقليم بمختلف الموضوعات الادبية والفكرية والفنية . وقد جاء في افتتاحية العدد الاول ان هذه المجلة تظهر لتساهم في خلق الثقافة العربية الجديدة بعد ان تحققت الجمهورية العربية المتحدة.

ولقد استقبل القراء المجلة بروح مشجعة طيبة ، وهم يدركون ان محاولة اخراج مجلة بهذا المستوى في الاقليم كان شيئا اسطوريا في الماضي ، ولكنها اليوم تتحدى كل تشاؤم ، وتبرز بامكانياتها الادبية ، وبتكاليفها المادية الباهظة ، لتواجه حقيقة التبدل الحضاري والثقافي في هذا الاقليم ... وانها لتبدو كانها في نجاحها وفشلها مقياس لهذا التبدل واصالته .

الباليه الروسيي

حدث فني جديد تعمر به حساسية الفئة الواعية المتذوقة من جمهورنا بدمشق . ولعلها المرة الاولى التي يزور فيها جزء من فرقة باليه عالمية. وخلال بضع ليال متوالية شهد الجمهور نماذج من الرقص ، اعلى نوع من الرقص بلغته الحضارة .

ورغم ان مسرح معرض دمشق الصيفي لم يعد لمثل هذه الفرق ، ورغم ان هذا الجزء من اكبر وارقى فرق الباليه العالمي (بولشوي) قد قدم روائعه بدون ديكورات مناسبة ، وتقريبا بدون اوركسترا كاملة او حقيقية ، فقد استطاع ان يعطي كامل تأثيره على الجمهور .. هذا الجمهور الذي اثبت ، مرة اخرى ، انه ليس قادرا فقط على تذوق مثل هذا النوع الرفيع من الفن ، بل هو متعطش دائما الى درجة الثورة على واقعه المعدوم من كل اثارة فنية حقيقية . ان قضية انشاء مسرح موسيقي للباليه والاوبرا والجوقات اصبحت واحدا من اهداف (النضالية) لجمهورنا المثقف في هذا الوقت الذي نحتاج فيه الى خلق انسان متمدين عصري، تربية الفنون تربية داخلية لتصنع منه الانسان اللائق بقيم الثقافة وحياة الثقافة .

(م. ص)